«عبد الرحمن بن عوف»

ـ رضي الله عنه ـ

«يا ابن عوف إنك من الأغنياء .. وإنك ستدخل الجنة حبواً

فأقرض الله يطلق لك قدميك».

النبى ﷺ ...

كانَ عَبدُ الرَّحمن بن عَوْف تَاجراً ذكياً نَشيطاً، وكانَ يكسبُ أموالاً طائلةً من تجارته ببلاد الشَّام. التَقى به أبوبكر الصِّديق ذاتَ يومٍ وأخبَرهُ عن مُحمدَ بن عبدالله وعن دَعوته الجَديدَة، فقالَ أبوبكر:

ظَهَر نَبىٌّ هذه الأمة يا صَاحبى، مُحَمدٌ الأمينُ، وهو يَدعُو إلى تَوحيد الله ونَبْذ عبادة الأصنام، ويدعو إلى مكَارم الأخلاق.

فَقَال عبدُ الرحمن: وهل اتبعهُ أحدٌ؟

فقالَ أبوبكر: نعم، إننى آمنتُ به واتبعتُه، وتَبعهُ أيضاً زَوْجهُ خَديجةُ وبعضُ عَشيرته، وهو يَدعو إلى الدِّين الجديد سِرّاً، ويجتمعُ بأصحابه خُفيةً فى شعَاب مكَةَ.

فقالَ عبد الرحمنُ: والله إنَّ مُحمداً صَادقٌ أمينٌ، وهو فينا ذُو جَاه ونَسب ومال، ولا أحْسبُ أنهُ يَبْتغى من دَعوته مَالاً أو جَاهاً.

قال أبو بكر : صَدقتَ يا ابن عَوف ، هَلاَّ جلَستَ إليه لتسمعَ منهُ .

ردَّ عبد الرحمن قائلاً : لنذهبْ إليه معاً .

وانطلقَ أبو بكر الصدِّيق مع عبد الرَّحمن بن عَوْف إلى النبيِّ ، وبعد أن استمعَ لكلام النبيِّ شَهدَ بأنهُ لاإلهَ إلا اللهُ وأنَّ مُحمداً رسولُ اللّه . وكانَ اسمهُ «عبدُالكَعْبَة» فسمَّاهُ النبيُّ «عبدُ الرحمن» .

وتحمَّلَ عبدُ الرَّحمن بن عَوْف اضطهادَ قُريش له . وهَاجَر إلى الحَبشة مع بَعض أصْحاب النَبيِّ ثمَّ عَادَ إلى مكةَ ، وكانتْ قُريشٌ لا تزالُ تُذيقُ المُسلمينَ العَذابَ والعَنَتَ ، فهَاجَر مع نَفر من المُسلمينَ إلى الحَبَشة مرةً ثانيةً ، وعندما عادَ إلى مكةَ ، كان النَّبيُّ قد أذنَ لأصحابه بالهجرة إلى المَدينَة ، فهاجَرَ عبدُ الرحمن إلى المدينة وهو لا يَمْلكُ من ماله درْهَماً ولا ديناراً ، فقد صُودرَت تجارتَهُ وأمواله جَميعَهَا . وفي المدينَة آخى النبي ـ ﷺ ـ بين المُهاجرينَ وبينَ الأنْصَار ، فآخى النَبيُّ بين عبد الرحمن بن عَوْف وسَعد بن الرَّبيع ، واستضافَ سَعدُ أخاهُ عبدَ الرحمن في دَاره وقالَ لهُ :

ـ أخي ، أنا أكْثرُ أهل المدينَة مالاً ، فانظرْ شَطْرَ مالي فخُذْه لك وعندي امرأتان ، فانظر أيتهُما أعْجبُ لكَ حتى أطلقهالكَ وتتزوجهاَ .

فقال عبدُ الرحمن لسعد :

ـ بارك اللهُ لكَ يا أخى فى أهْلِكَ ومَالِكَ ، دُلَّنى على السُّوق ، ألا يُوجدُ سوقٌ هنا .

قال سعدٌ : نعم ، سُوقُ بنى قَيْنُقاع .

فغَدا عبدُ الرحمن بن عَوْف إلى السُّوق وأتى بجُبن وسَمْن وطَعام ، ثم غَدا فى اليومِ التالى ليَبيعَ ويَشْترى ، وتابعَ الغُدوَّ إلى السُّوق ، وبدأ يَربحُ من بَيْعه ، فهو فى التِّجارة ماهرٌ وذكىٌّ .

وشُغلَ عبدُ الرحمن بن عَوْف قليلاً بتجارته حتَى أصبحَ لديه بعضُ المَال ، وأرادَ أن يبنىَ بيتاً ويَعفَّ نفسَهُ ، فبحثَ عن امرأة صالحة من نساء الأنصار ، وتزوَّجَ ورآهُ النَّبىُّ ذاتَ يوم شاحباً بعد مُدة من السَّعى والعَمل وإعداد مَنْزل لهُ ، وسألهُ النبىُّ ـ ﷺ ـ : تَزوَّجتَ؟ .

قَال عبدُ الرحمن : نَعم يا رسُولَ الله .

قال النبىُّ : ومَنْ؟

قالَ : إمرأةٌ من الأنصار .

قالَ النبىُّ : كم سُقْتَ؟

فقالَ عبدُ الرحمن : نَواةً من ذَهَب .

فضحكَ النبىُّ وقالَ : " أوْلِم ولو بشاة .

وراحَ عبدُ الرحمن يجمعُ إخوانَهُ المُهاجرينَ والأنصار على الوَليمة لتكونَ إعلاناً عن زَواجه . وكان سَعيداً بنجاحه السَّريعِ ، وبغناهُ بعدَ أن كانَ لا يَملكُ قُوتَ يومه عندما قَدمَ

المَدينةَ، وقد صُودرتْ أموالُه في مكةَ قَبلَ الهجرة.

وقالَ لبعضِ أصحابِه يوماً، بَعدَ أنْ أصْبَحَ لَديه أهْلاً ومَالاً ودَاراً فَسيحةً:

ـ لَقد رَأيتَني لَوْ رَفَعتُ حَجراً لَوجدتُ تَحتهُ فضةً وذَهباً!

فَضَحكَ أصحابُهُ قائلينَ:

ـ بارَكَ اللهُ لكَ في أهْلِكَ ومَـالِكَ، أنتَ ذو حَظٍّ عَظيمٍ في التِّجارة.

ضَرَبَ عبد الرحمن بن عَوْف المَثَلَ الأعلىَ والقُدوةَ الحَسَنةَ لإخوانه المُهاجرينَ في الكفاح والعَملِ والاجتهاد. فبدلاً من أنْ يَعيشَ عالةً على إخوانه من الأنصار، ويكتفي ويَقْنَعُ بالكفاف، راحَ يَسْلُكُ طريقَ الحَياة الكريمَة بسمُوِّ نفس وعُلوِّ همة، فهو الذي سَمعَ رسولَ اللَّه يقول: «اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفلى»

فوعَى هذه الكلمات، هو وأصحابُه وراحُوا يَضربونَ في الأرضِ يَبتَغونَ منْ فَضْل الله.

وكَانَ رسولُ اللَّه يَحُثُّ المسلمينَ عَلىَ العَملِ والسَّعي في طَلَبِ الرِّزق، فقَالَ:

ـ لأنْ يَحتَطبَ أحدٌ على ظَهْرِه خَيرٌ منْ أنْ يَسألَ أحداً فيُعطيه أو يَمْنَعهُ:

وقال أيضاً: «ما أكَلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أنْ يأكلْ من عَملِ يده، وإنَ نبيَّ اللّه داودَ كَانَ يَأكُلُ منْ عَملِ يده».

نَجَحَ عبدُ الرحمن بن عوف فى تجَارَته، وفى غَزوة بَدْر أنفقَ منْ ماله فى سبيل اللّه لتجهيز الجَيْش، وَحاربَ مَعَ المُسلمينَ، وفى غزوة أُحد كان يُقاتلُ المُشركينَ فقالَ مَنْ يَطْلُبَ الشَّهادةَ فى سبيل اللّه، وأصيْبَ يَوْمَها بعشرينَ جُرْحٍ كَانتْ آثارُها باقيةً فى جسْمه، وتَركت عرجاً فى إحدى سَاقيه.

وحَضَر عبدُ الرحمن الغَزَوات والمعَاركَ كلَّها مَع رسول اللّه، وكَانَ يُنفقُ من ماله فى كُل غَزوة فى تَجهيز جَيْش المُسلمينَ. وفى المَدينة صَارَ عبدُ الرحمن ابنُ عَوْف من الأغنياء، وذاعَ صيْتُهُ بينَ التُّجار النَّاجحينَ. وقال له النبى ـ ﷺ ـ ذاتَ يَوْمٍ ناصحاً ومُحذِّراً:

ـ «يا ابنَ عَوْف، إنكَ من الأغْنياء، وإنكَ سَتَدخلُ الجنةَ حَبْواً فأقرِض اللّهَ، يُطْلقَ لكَ قَدَميكَ».

ومن سَاعتها وعبدُ الرحمن بن عَوْف يُكثْرُ من الإنفاق فى سَبيل اللّه، ويَتنافسُ هو وعثمانُ بن عفَّان فى تَجْهيز الجُيوش، واللّهُ تَعالى يُضَاعفُ لهُ الرِّبحَ ويباركُ لَهُ فى الرِّزق. كَانَ يُقرضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً، وربُّهُ يُضاعفهُ له أضعافاً كَثيرةً، فمايزيدُهُ ذلكَ إلا حَمداً وشُكْراً.

وبرغم ذلك كان عبدُ الرَّحمن بن عَوْف يَخشى أن يكونَ هذا الثَّراءُ العَريضُ نقمةَ عليه، لا نعْمةً. وكَانَ يُردِّدُ:

« بُسطَ لنَا من الدُّنيا ما بُسطَ، وأعطينا منها ما أعطينا، وإني لأخشى أن نكُونَ قد عُجِّلتْ لنا حَسَناتنا، أو نكونَ ممن يُقالُ لهم يومُ القيامة: ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدُّنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذابَ الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

كَانَ عندهُ يوماً ثمانيَةَ آلاف درهَم، فأمسَكَ أربعةً منها لنفسه وعياله، وقدَّمَ أربعةَ آلاف لله ولرسوله، ففرحَ النبيُّ وقالَ لهُ:

ـ « باركَ اللّهُ لكَ فيما أمْسكتَ وفيما أعطيتَ».

ونزلتْ آيةٌ كريمةٌ تُبشرُ المؤمنينَ الذين يُنفقونَ في سَبيلِ اللّه، تقُولُ الآيةُ:

ـ ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾

[البقرة: ٢٦٢].

أحبَ رسولُ اللّهَ ـ ﷺ ـ عبدَ الرحمن بن عَوْف حُباً جَمّاً، وكَرَّمهُ تكريماً عَظيماً يومَ عَمَّمهُ بيده الشَّريفة، وسَدَلَ العمامةَ على كَتفيه وهوَ يُوجِّههُ إلى «دَوْمة الجَنْدَل»، وآذنَ لهُ أنْ يَتزوجَ إبنَةَ ملكهم « الأصبغِ بن ثَعلبةَ الكَلبي»، ففتحَ اللّهُ على عبدالرحمن، وتزوجَ منْ

تلكَ الفتاة الحَسيبَة وتُدعى «تُماضُر» ، وعاشَ سَعيداً بهذا التَّكريم .

وانتقَلَ رسولُ اللّه إلى الرَّفيق الأعلى ، وولىَ الخلافةَ أبُوبكر الصدِّيق ، فكانَ عبدُ الرَّحمن عَوْناً له في مُحاربة المُرتدينَ وتَجهيز جُيوش المُسلمينَ لقتال مُدْعِيِّ النُّبوة « مُسيلمةُ الكذَّاب» ، وأتمَّ اللهُ النَصر للمؤمنينَ .

وعندَما أرادَ أبوبكر الصدِّيق نَشْر الإسلام خَارجَ جَزيرة العَرب ، وأمر بتسيير الجُيوش الإسلامية إلى بلاد فَارسَ والرُّوم ، كانَ عبدُ الرَحمن بن عَوْف يُجهِّزُ الجُيوش ويُنفقهُ في سَبيل اللّه . وَحَقَّقَ المسلمونَ انتصارات عَزيزةً في العراق والشَّام وفَتَحوا بلادَ فارس ودَخلوا إيوان كسْرىَ بقيادة سَعد بن أبي وقاص ، وقادَ خالدُ بن الوليدَ جَيْشَ المُسلمينَ في العِراقَ والشَّام ثم انتقلتْ القيادةُ لأبي عُبيدةُ بن الجرَّاح .

ثم ماتَ أبُوبكر الصدِّيق ، وأصبحَ عُمر بن الخطاب أميراً للمُؤمنينَ ، ولم يَألُ عبدُ الرَّحمن بن عَوْف جَهداً في النُصح والمشورَة والانفاق في سَبيل الله . وبكى يوماً عبدُ الرَّحمن بن عوف ، وكانَ على طعام مَعَ بَعْض أصحابه ، وقَد تذكَّرَ إخوانه ومالاَ قُوهُ من حرْمان وَشَظَف عَيْش في سَبيل نَشْرَ الإسلام بينما هُو يَنْعَمُ بخيرات وَطَيبات الحياة ، وقد بَسَط اللّهُ لهُ منْ الدُنيا ما بَسَطَ .

وتَعجَّبَ أصحابُه الجالسونَ معهُ عَلَى مائدة الطَّعامِ وسألوهُ بدهشة :

ـ ما يُبكيكَ يا أبا مُحمد؟ !

فقالَ : لَقَدْ ماتَ رسولُ اللّهِ ﷺ ـ وما شَبِعَ هو وأهلُ بيته مِنْ خُبْزِ الشَّعير ، مَا أرانا أخِّرْنَا لما هو خَيرٌ لنا! . .

* * *

وتَمضي الأيامُ ، ويَنتَشرُ الإسلامُ في البلاد ، وتَنتشرُ قوافلُ التِّجارة لعبد الرحمن بن عَوْف في الأمصار ثم تأتي إلى المَدينة بخيرات هَذه البلاد من طعام وكساء .

وذاتَ يوم وَصَلتْ المدينةُ قافلةٌ هائلةٌ ، كانتْ تُثيرُ الغُبارَ والرِّمالَ ، وأحدثتْ ضجَّةً عاليةً ، فأسرعَ النَّاسُ ليروا القَافلةَ . وكانتْ سبعُمائةُ راحلة مُحملةً بالخَيرات قادمةً منْ بلاد الشَّام . وسَمعتْ السيدةُ عائشةُ جَلبةً فسألتْ مَنْ حَولَها : مَا هَذاالَّذي يَحْدثُ في المدينة؟

فَقيلَ لها : إنها قافلةٌ جاءتْ منْ الشَّام لعبد الرحمن بن عَوْف تحملُ تجارةً له .

فتساءلتْ السيدةُ عائشةُ في دهشة :

ـ قافلةٌ للتجارة وتُحدثُ كل هذه الرَّجَّة؟ !

فقيلَ لَها : نَعم يَا أمَّ المُؤمنينَ ، إنها سبعُمائةُ راحلة!

هُنالكَ تَذكَرتْ السيدةُ عائشةُ حديثاً سَمعتهُ من رسول الله . فَقَالتْ لِمَن حَولَها :

« إنى سَمعتُ رسولَ اللّهـ ﷺ ـ ، يقولُ :

ـ رأيتُ عبدَ الرحمن بن عَوْف يدخلُ الجنةَ حَبْواً! »

وامتلأتْ شوارعُ المَدينةُ بالرِّحال ، ثُم وَقَفتْ أمامَ دار عبدَ الرحمن ابن عَوْف ، فأخبرهُ أحدُ أصحابه بمَقُولة السيدة عائشةَ ، فسكتَ عبدُ الرحمن قليلاً وقد تذكَّر حديثَ النبى ﷺ له ذاتَ يوم بأنهُ يدخلُ الجنةَ حَبْواً ، وتَذكرَّ نصيحةَ النَّبى ﷺ له . . « يا ابنَ عَوْف ، أقرْض اللّهَ يُطلْق لكَ قدميكَ » ، فأسرعَ إلى بيت السيدة عائشةَ وحيَّاها ثم قالَ لَها :

ـ لَقد ذَكَّرتنى يا أمَ المُؤمنينَ بحديث لم أنْسهُ ، أما إنى أشْهدُك أن هَذه القَافلَة بأحْمالها وأقتَابها وأطلاَسها فى سَبيل اللّه عَزَّ وجل .

وعادَ يُوزعُ حُمولَةَ هَذه القافلَة الهائلة عَلَى أهل المَدينة ومَن حَولْهاَ ، والنَّاسُ تَدعوُ لهُ بالخَير .

* * *

ومَرضَ عبدُ الرَّحمن بن عَوْف ، وقَبْلَ مَوته أوصَى بخمسينَ ألفَ دينار من ماله تُنفقُ فى سبيل اللّه ، وأوصَى لكلِ مَن بَقىَ من أصحاب النَّبى ﷺ ممَن شَهدوا بَدْراً بأربعمائة دينار ، وكانوا يومئذ مائَةَ صحابىٍّ جَليلٍ .

ووُزِّعتْ هَذه الأموالُ عَلى الذينَ شَهدوا بَدْراً، وأخَذَ عثمانُ بن عفان نصيبهُ منْ هَذه الوَصية وهو يومئذ أميرَ المُؤمنينَ ـ وكانَ ثرياً ـ وكانَ يُردِّدُ بغبطة : « إن مَالَ عَبدَ الرحمنِ حَلالٌ صَفْوٌ ، وإنَ الطُّعمةَ منهُ عافيةٌ وبركةٌ » .

وأوصى عبدُ الرحمن لكل إمرأة من أمهات المُؤمنينَ بمبلغ كبير من ماله ، مما حدا بالسَّيدة عائشَةَ ـ رضى اللّه عنها ـ إلى الدُعاء لَهُ قائلَةً : ـ سَقاهُ اللّهُ من السَلْسبيل .

ولقَى عبدُ الرحمن بن عَوْف ربهُ باكياً مُستغفراً ، وصلَّى عليه عثمانُ بن عفان وصحابةُ رسولِ اللّه ، ودُفنَ بالبَقيعِ مع الشُّهداء والصَّالحينَ .

« رضى اللّهُ عن عبدُ الرحمن بن عَوْف »